العلم والدين

١

خطبة اسقف برمنغهام في دير وستمنستر

على اثر الخطبة النفيسة التي خطبها السر ارثر كيث في مجمع تقدم العلوم البريطاني وعرض فيها لمذهب دارون في اصل الانسان فايّدهُ ، جاول بعض الكتّاب ان يثير حول الموضوع عجاجة النزاع القديم بين العلم والدين . الا ان رئيس اساقفة برمنغهام خطب في دير وستمنستر خطبة ضافية في هذا الموضوع كان لها صدى كبير في اندية المفكرين ومحافلهم نقتطف منها ما يلي قال : —

ماذا اقول لابناء هذا العصر ؟ أأقول لهم تملقوا باهداب المعتقد القديم ؟ كلا بل اقول لهم اطلبوا الحق . تهللوا لانكم ابناء عصر من اعظم العصور مقاماً في التاريخ من حيث ارتقاء العلوم . رحّبوا بالمكتشفات الجديدة واحترموا مكتشفيها . ولكن اذكروا ان وراء كل هذا التقدم لا تزال ترى ستاراً كثيفاً يغشى كل مسائل الحياة الاساسية فيحجب عنا حقيقتها . فعليكم ان تقتربوا من هذه المسائل وملء قلوبكم ايمان رائدهُ العقل . واني لارتاب كل الارتياب ان كان ايمانكم حينئذٍ يختلف عن ايمان الرجال الذي وعظوا او سجدوا في هذا المعبد

اما فيما يتعلق بالخطبة التي خطبها رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني فماذا يجب ان نفعل ؟ ماذا يجب ان يكون موقفنا ازاء مذهب النشوء . اسنحجب الحقائق الواضحة بستار كثيف من الجدل يحجبها عن انظارنا ؟ انكم لا تستطيعون ان تتجاهلوا هذه الحقائق وتكونوا من ابناء هذا العصر النيّر

أيجدر بنا ان نخلق في عقول الناس ريباً حيث لا مجال للريب ؟ انحوّل تاريخ المعتقد المسيحي لكي نستنبط منهُ ما يمكننا من القول بان مذهب دارون ليس جديداً ؟ ام يجدر بنا ان نستقبل الحقائق الجديدة مقرّين بان بعض الآراء التقليدية في المعتقد المسيحي يجب ان يناها بعض التغيير ؟

اني اعتقد ان السبيل الاخير هو سبيل الحكمة والرشاد . فلنستقبل الحقائق كما يثبتها البحث العلمي غير هيّابين ولا وجلين . ان بين رجال العلم اتفاقاً على ان الانسان

ارتقى من اصل قردي وقد يكون ارتقاؤهُ بدأ منذ مليون سنة من اصول قردية متصل بعضها ببعض . أخذت هذه الاصول الحيوانية تتغير وترتقي في نواحٍ مختلفة وكان معظم هذا التغير في الانسان في دماغهِ وخصوصاً في مراكز تداعي الافكار . ففاق بذلك سائر الحيوانات التي تمتُّ اليهِ بصلة . وكان ارتقاء بعض القرود من نواحٍ اجرى غير الناحية التي ارتقى فيها الانسان . فنشأ كذلك الشمبانزي والغورلا والأورانغ أوتان فكانوا ابناء عم الانسان الادنين . ومهما كانت وجوه الاختلاف بين العلماء على الوسائل التي تمَّ بها هذا الارتقاء فلا يختلف اثنان من الذين تؤخذ اقوالهم حجة في ان النشوء حقيقة راسخة . ورأي داروِن في ان الانسان نشأ من اصل قردي قد ثبت وتأيد بعد ما مرَّ عليهِ نصف قرن من الزمان

***

ولا يسعنا اثبات ترجمة الخطبة بحذافيرها على ما كان لها من الشأن الكبير لانها ضافية لا يتسع لها نطاق هذا الجزء وانما نقتطف منها اهمَّ ما جاء فيها من الاقوال

* لقد اثبت البحث البيولوجي ان نزغات الشرّ في طبيعة الانسان امور فُطِر عليها ووِرثها عن اسلافهِ . والواقع ان الانسان حيوان أخذ في الارتقاء ارتقاء عضويًّا وروحيًّا لا الله هبط من حالة كان فيها مثالاً للطهارة والتقى . وان ارتقاءه الروحي أعظم تميز لهُ عن سائر الحيوانات التي تسير معهُ في ميدان الحياة

* علينا ان نسعى وراء الحق ومتى كشفنا حقيقة جديدة يجب ان لا نتردد ولا ان نتألم في نبذ معتقد قديم مضاد لها . فاذا حدث ذلك صاح قوم ان الايمان في خطر يهددهُ . على ان درسي للتاريخ كما افهمهُ يدلني على ان الايمان يكون في خطر حينما تُستغَل الافكار وتلجم القرائح فلا تستطيع النهوض والسير في ميدان التقدم والارتقاء . ويقول البعض يجب ان نحتفظ بالحقائق المسيحية كما تبدو في معتقداتنا . اني لا اعلم انواعاً مختلفة من الحق . ويقول آخرون ان الآراء الجديدة كفر والحاد فنجيب هؤلاء ان كفر اليوم قد يكون معتقد الغد الراسخ

* ان المسيحيين الذين لا يخيفهم شبح التقاليد الدينية القديمة يرون ان لا نزاع بين مذهب النشوء وتعاليم المسيح . لان الله يستطيع ان يظهر قدرتهُ في اعمال النشوء البطيئة كما يستطيع ان يظهرها في اعمال الخلق التام المنفصل

٢

وليست هذه المرة الاولى التي صرّح بها أسقف برمنهام برأيه في هذا الموضوع. فقد بعثت اليه مجلة نالشر منذ سنتين تسأله رأيهُ في مسألة محاكمة سكوبس (الاستاذ الاميركي الذي حوكم في ولاية تنيسي الاميركية لانه خالف قانونها وعلّم مبادىء مذهب النشوء والارتقاء لتلاميذه في مدرسة من مدارس الحكومة) فكان ردّه كما يأتي:

ان التعصب القائم على الجهل الذي حدا ببعض الولايات القريبة من الولايات المتحدة الاميركية الى منع التعليم بمذهب النشوء في مدارس الحكومة تعصب ذميم. واني لارباً بنفسي كرجل يقدر الحرية الفكرية عن ان ارى جماعة انجلو سكسونيه تحاول ان تمنع نشر المعارف بالتشريع. واحزن شديد الحزن كمسيحي صميم حين اشاهد حركة غايتها مقاومة الوصول الى قاعدة معقولة للدين المسيحي. ان الادلة الثابتة المتجمعة اقنعت كل عالم بيولوجي يُؤبه لهُ في العالم المتمدن بأن الانسان نشأ من أصل شبيه بالقرد. وكل مسيحي متنور في بلاد الانكليز يعتقد ان النشوء هو الاسلوب الذي جرى عليه الله في خلق الانسان. وكل لاهوتي معروف هنا يسلّم بصحة هذا الرأي. ان هذا التسليم يعزز مقام المسيحية لانهُ يجعل الاساس الروحي الذي تستمدهُ من السيد المسيح أساساً معقولاً الى حد الاقناع

مهما بالغنا في الغث والسقطة لم نستطع ان نحوّل جانباً من تعاليم السيد المسيح عن ما هي مثبتة في العهد الجديد حتى نستخرج منها رأياً يقول بان ما ذكر في سفر التكوين عن الخلق صحيح بحرفهِ. لقد نسي الاصوليون ان الكتاب المقدس كنز من الحقائق الروحية لا كتاب علم للتدريس. لقد نسوا المعتقد المسيحي القائل ان الروح القدس لا يزال يبعث النورَ على ان يوسعوا افهامهم لكي يدركوا الحق. انهم يخافون خطأ ادراك الحق لان ذلك في رأيهم يضعف المعتقد المسيحي المبني على الوحي. والنتيجة الوحيدة التي لابدَّ ان تنتج عن مقاومتهم للعلم باسم الدين هي اغراء الوفير من طلبة المدارس الاحداث بالتخلي عن المسيحية حاسبين خطأً انها مرتبطة كل الارتباط بالجهل والبلاهة